البنوية والتوليدية التحويلية : دراسة في آليات المنهج.

العربي فاطمة الزهرة•

تخصّص: تحليل الخطاب.

تحت اشراف الأستاذ:د/محمد بوادي

الملخّص:

إنّ المحلّل لأيّ نص أدبي يحتاج بالدرجة الأولى إلى منهج معيّن يتوصّل من خلاله إلى نتائج دقيقة.

تعدّ المدرستان: البنوية والتوليدية التحويلية من أكبر المدارس التي لها الدور الكبير في خدمة اللّغة، والفكر وصنع تاريخ اللسانيات.

يقوم المنهج البنيوي في تحليله للنصوص على جملة من الآليات تلخّصت في شكل مستويات للتحليل هي:

1- المستوى الصّوتي

2- المستوى الصّرفي

3- المستوى المعجمي

4- المستوى التّحوي

وكذا المستوى الدلالي والمستوى الرّمزي.

في حين يقوم المنهج التوليدي التحويلي على آليات اعتمدها " تشومسكي " في تحليله "للجملة" على ما يسمّى: "بالأنموذج الركني" (المخطّط المشجّر).

وقد أردف المقال بجانب تطبيقي تناول قصيدة (الدّبيح الصاعد) لمفدي زكريا محلّلة تحليليا بنيويًا.

Summary :

The analyst of any literary text needs first, a particular methodology by which he will achieve specific result.

The structural and generative transformational are

العربي فاطمة الزهرة، طالبة دكتوراه السنة السادسة، لسانيات تطبيقية تخصص تحليل الخطاب، جامعة بجاية

considered as the two biggest schools that had an important role in the development of language and thought, and in the constitution of the linguistics history.

The structural analysis method is based on a number of mechanisms which can be summarised as levels of analysis, as follows:

- 1- Phonetic level
- 2- Morphologic level
- 3- Lexical level
- 4- Grammatical level

Then, the semantic and symbolic levels.

While the generative transformational method is based on mechanisms adopted by "Chomsky" in his analysis of the sentence, called the angles model (tree schema).

The study is supported by a practicality giving the structural analysis of the poem (Eddabih Essaaid)

مقدّمة:

تعدّ اللسانيات التطبيقية علما مستقلا بذاته، له إطاره المعرفي الخاص، ومنهجه المنبثق من طبيعته و مضمونه. كما تعتبر علما ذو أنظمة متعددة تستثمر نتائجها الأنظمة في تحديد المشكلات اللغوية و وضع الحلول المناسبة لها، وعلى الرغم من أنّ اللسانيات النظرية ليست العنصر الوحيد في هذه التوليفة، فإنّها تبقى أهم عنصر فيها نظرا لاستفادة اللسانيات التطبيقية من معطياتها

احتضنت اللسانيات النظرية مدرستين لسانيتين كانتا لهما الدور الكبير في خدمة اللّغة و الفكر و صنع تاريخ اللّسانيات و هما: المدرسة البنيويّة، والمدرسة التوليديدية التحويلية.

فالأولى والتي ظهرت في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين تعود لمؤسسها ورائدها " فرديناند دوسوسور" الذي أرسى قواعدها وأسسها من خلال كتابه: «محاضرات في اللّسانيات العامة»، وقد أحدثت هذه اللسانيات ابستمولوجية معرفية مع فقه اللّغة والفيلولوجيا الدياكرونية.

اعتبر سوسور أنّ موضوع علم اللّغة الصحيح والوحيد هو اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، و من أهمّ ما جاء به، ثنائية النّظم اللّغوية في شكل مقابلات ثنائية تكشف عن علاقتها التي تحدّد طبيعتها و تكوينها. وأهمّ هذه المقابلات: ثنائية اللّغة و الكلام، ثنائية المحور الثابت والمحور

المتطوّر، ثنائية النموذج القياسي والنموذج السياقي، وثنائية الصوت والمعنى...

استعانت البنوية بالكثير من العلوم، كالفلسفة الوضعية وعلم الاجتماع، وعلم النفس السلوكي وفسّرت الظاهرة اللغوية وفقاً لمبادئها... وهذا استمرّت اللسانيات البنوية في تسديدها للدراسات اللسانية مع جهود البنيويين إلى أن ظهر الأمريكي المعاصر "نوام تشومسكي" الذي أحدث انفجاراً معرفياً في العالم من خلال كتابه: ﴿البنى التحويلية﴾ الذي وضع فيه أسس نظرية القواعد التوليدية التحويلية.

نالت هذه النظرية اهتماماً بالغاً بفضل تماسكها الداخلي وقيمتها التفسيرية، وقوّة جهازها المفاهيمي، وقد اعتمد تشومسكي على "العقلانية" كأساس لنظريته المتمثلة في مجال الفلسفة العقلانية "ديكارت، هميلورت بورويال" متجاوزاً كثيراً من الطروحات والمبادئ الفلسفية التي تنطلق منها الدراسات البنوية منتقداً أيضاً تصورات علم النفس السلوكي في مجال اللغة واكتسابها وتعلّم قواعدها.

و من خلال هذا التعقيب البسيط للتعريف بالمدرستين البنوية والتوليدية التحويلية، نصل إلى مدار دراستنا من خلال بلورت إشكالية تخدم موضوع الدراسة حيث نتساءل:

ما هي أهمّ المفاهيم التي تستخدمها كل من المدرستين البنوية والتوليدية التحويلية؟

وكيف نظر مؤسسو هاتين النظريتين لهذه المفاهيم؟

و بما أننا ركّزنا في دراستنا على آليات تحليل النصوص، ففيما تتمثل آليات تحليل النصوص لكل من المنهج البنوي والمنهج التوليدي التحويلي؟.

1- المدرسة البنوية:

1-1: تحديد مصطلح البنية لغة واصطلاحاً:

● البنية لغة:

تشتق كلمة ﴿بنية﴾ من الفعل الثلاثي ﴿بَنَى﴾ و يقال: «بَنَى الشيء - بنيًا، وبناءً، وبنياً: أقام جداره، ونحوه يقال: بنى السفينة، وبنى الخباء.»¹ بمعنى أنها تدل على التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء، أو الكيفية التي شيّد عليها.

● البنية اصطلاحاً:

¹: المعجم الوسيط، ج 1، باب البناء، مكتبة الشروق الدولية للنشر، ط4، 2004، ص72.

واجه تحديد مصطلح البنية جملة من الاختلافات ناتجة عن تظاهرها في أشكال متنوعة لا تسمح بتقديم قاسم مشترك، لذا فإنَّ "جان بياجيه" ارتأى في كتابه ﴿البنوية﴾ أنَّ إعطاء تعريف موحد للبنية مرتبط بالتمييز «بين الفكرة المثالية التي تُغطي مفهوم البنية في الصراعات أو في آفاقٍ مختلفة أنواع البنيات، والتّوايا النقدية التي رافقت نشوء وتطور كلِّ واحدةٍ منها مقابلَ التيارات القائمة في مختلفِ التّعاليم.»¹ فجاء بياجيه يقدّم لنا تعريفاً للبنية باعتبارها: «مجموعة تحولات تحتوي على قوانين كمجموعة ﴿تقابل خصائص العناصر﴾ تبقى أو تعني بلعبة التحويلات نفسها دون أن تتعدى حدودها أو أن يستعين بعناصر خارجية. وبكلمة موجزة تتألف البنية من مميزات ثلاث: الجملة، والتحويلات، والضببط الذاتي.»² ممّا يعني أنّ التعريف السابق يتضمن مجموعة من السّمات المميّزة، فالبنية أولاً نسق من التحويلات الخارجية، وثانياً هذا النسق ليس بحاجة لأي عنصر خارجي، فهو يتطور ويتوسع من الداخل، ممّا يضمن للبنية استقلالاً ويسمح للباحث بتعقّل هذه البنية.

يرى "ليفى شتراوس" أنّ البنية: «نسق يتألف من عناصر يكون من شأن أيّ تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولاً في باقي العناصر الأخرى.»³ بمعنى أنّه يتجلى وراء الظواهر المختلفة شيء مشترك يجمع بينهما، يتمثل في تلك العلاقات الثابتة المتداخلة والمتماسكة فيما بينها.

في حين ذهب "لوسيان سيف" إلى القول بأنّها: «نظام من علاقات داخلية ثابتة، يحدّد السّمات الجوهرية لكل كيان، ويشمل كلاً متكاملًا لا يمكن اختزاله إلى مجرد حاصل مجموع عناصره، وبكلمات أخرى يشير إلى نظام يحكم هذه العناصر فيما يتعلق بكيفية وجودها وقوانين تطورها.»⁴ إذن فهو يشير إلى تلك العلاقة بين الجزء والكل، إذ يرى أنّها ليست مجرد اجتماع مجموعة من العناصر المستقلة، بل إنّ هذه العناصر تخضع لجملة من القوانين تتحكم في بناء العلاقة التي تجمع الأجزاء، وتصفي هذه القوانين على البنية سمات كلية تختلف عن سمات العناصر كلّ منها على حدة، كما تتميز عن مجموع هذه العناصر.

خلاصة القول أنّ البنية هي كلّ يتكون من ظواهر متماسكة لا تكتسب معناها إلاّ بانتمائها إلى هذا الكلّ.

1: جان بياجيه، البنوية، تر: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، ط4، بيروت، 1985، ص8.

2: م، ن، ص ن.

3: عز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجدلاوي، ط1، عمان، 2006م، ص450.

4: عز الدين المناصرة، ص542.

2-1 اللغة.

كانت اللّغة محلّ اهتمام العلماء والباحثين منذ القديم باعتبارها وسيلة تفكير وتواصل بالنسبة للإنسان هذا من جهة، ومن جهة أخرى كونها ظاهرة حيوية يشوبها الغموض لذلك وقف هؤلاء أمام هذه الظاهرة محاولين الكشف عن ماهيتها وتحليلها وتفسيرها، وقد ظهرت في تاريخ الفكر اللّغوي تعريفات مختلفة لهذه الظاهرة، اختلفت باختلاف المدارس والاتجاهات التي ينتمي إليها علماء اللّغة.

ومن أهم هذه المدارس: المدرسة البنوية لرائدها "دي سوسور"، الذي اعتبر اللّغة:

« نظام من الرموز المختلفة التي تشير إلى أفكار مختلفة، وهي مجموعة المصطلحات التي تتخذها هيئة المجتمع بأكمله، لإتاحة الفرصة أمام الأفراد لممارسة ممتلكاتهم.»¹ وفي السياق نفسه يضيف أنها: «مجموعة القواعد التي ينبغي على متكلمي تلك اللّغة أن يلتزموا بها إذا أرادوا الاتصال فيما بينهم.»² فاللّغة عنده هي العنصر الاجتماعي للكلام، وهي رموز تعبر عن الأفكار ووسيلة اتصال بين بني البشر.

تنظر البنوية إلى اللّغة على أنها: «بنية مغلقة، وأنها تنظيم يتألف من مجموعة وسائل التعبير الصوتية، والتي هي رموز تعبر بها اللّغة عن مفاهيم معينة، يتحسسها المتكلم فكلّ لغة تتألف من بنى تتفرد بها وتميّزها عن سواها.»³

و بالتالي نخلص إلى القول أنّ اللّغة هي نظام من الأدلة المتواضع عليها والمعبر بها عن الأفكار.

3-1 الجملة:

لم يقتصر اهتمام البنويين على اللّغة فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى اهتمامهم بالجملة، وإن كان اهتماما غير مبالغ فيه بالمقارنة مع النّص إلا أنّ هناك محاولات لسانية جادة في هذا المجال تعود "لبلومفيلد" الذي اعتبر الجملة: «شكل لغوي مستقل، لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي في شكل لغوي أكبر منه»⁴ وقد عبّ "جون لاينز" على هذا التعريف معتبرا

1: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1998، ص20.

2: البنوية وما بعدها: تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، د.ط، 1996، ص13.

3: ميشال زكريا، مباحث النظرية الألسنية وتعليم اللّغة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، ط2، 1985، ص56-57.

4: نعمان بوقرة، ﴿نحو النّص مبادئه اتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة﴾، علامات ج61، مج16 ﴿مايو 2007﴾، ص11.

الجملة: «الوحدة الكبرى للوصف اللغوي». ¹

أما "سوسير" فلم يقدم لها تعريفا محددا بل أشار إلى كونها: «نمطا مهما من أنماط التضام syntagme». ² وقد ذهب "دافيد كريستال" إلى ضرورة التمييز بين الجملة من حيث هي نمط يقاس عليه، والجملة من حيث هي واقع منتج فعليا في الكلام. ³

وفي اللسانيات العربية يمكن الاستئناس بتعريف "إبراهيم أنيس" الذي يراها: «أقل قدر من الكلام تفيد السامع معنى مستقل بنفسه، سواء تركب من كلمة أو أكثر». ⁴

واستنادا إلى التعاريف السابقة الذكر نتوصل إلى القول أن الجملة هي مجرد منتج لغوي افتراضي غرضه تبيان مدى انطباق القاعدة، على أساس أنها كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النَّحو.

4-1 النص.

اتفق الدارسون على اعتبار النص جهازا حاملا للمعاني، أو نظاما من أنظمة التواصل، كما عدّ نظام معرفي يجمع هوية لغوية تؤسس لعلاقة غائية بين الإنسان وحاجاته وبين واقعه ومحيطه الاجتماعي. ولما كان النص مصدر اهتمام هؤلاء الدارسين سلطوا الضوء على تحديد مفهومه وهويته، ونظروا في العلاقة القائمة بين مؤلفه ومتلقيه بناءً على الخلفيات الأصولية والمصادرات الذاتية التي تتبنى اتجاهات معينة وإيديولوجيات مختلفة. ⁵ ولقد كشف هؤلاء الدارسون عن جملة من التعاريف تخص الظاهرة النصية وتبين أرسام حدودها من خلال الإلمام بكلّ الجوانب المفهومية المتصلة بها. ومنه نجد ما أشار إليه "محمد مفتاح" في تعريفه للنص على أنه: «مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة». ⁶

وإذا ركّزنا على نظرة البنيويين للنص فقد اعتبروه: «شكلا مغلقا، أو بنية كبيرة مكتفية بذاتها، وهو صياغة موضوعية غير مفتوحة على غيرها. إنّه جهاز من الدوال أفرزها النشاط الإبداعي فهو وحدة مستقلة عن إدراك القارئ وهو إنشاء مشكل على منوال ما تنسجه العنكبوت لبيتها من محبوك الخيوط، فهو كما يعتقد رولان بارت بنية تنسج نفسها وتصنعها

1: م، ن، ص ن.

2: م، ن، ص ن.

3: م، ن، ص ن.

4: م، ن، ص ن.

5: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، 1986، ص 126.

6: محمد مفتاح، ص 126.

من خلال عملية التّشابك المستمر.»¹ ففي هذا المفهوم جعلت من النّص صنما غيّب القارئ الحقيقي وأجهزة على مقدراته الفكرية، وعزلت النص عن كلّ شيء من مثل المؤلف والمجتمع والظروف التي نشأ فيها.

وهذا ما أكّد عليه "فاضل تامر" حين عدّ النّص: «مجموعة من الأنساق المضبوطة تتمتع باستقلالية تجعل الدارس له تابعا لمادته سجيناً لصياغتها ومن ثمة لزم على العامل في حقلها عدم تخطي أسوارها أو إضافة شيئاً من اجتهاداته، بالتالي المساهمة في إقصائه وإلغاء دوره، كما عزفت عن مقاصده ونواياه.»² فهو يؤكد على فكرة سابقه في كون أنّ البنوية جعلت من النّص كيان مغلق منته في الزمان والمكان منقطع الجذور عن حركة الواقع الاجتماعي، كما جعلت من الدارس للنّص إنساناً ساكناً لا يتأثر ولا يؤثر، وليس بإمكانه أن يضيف شيئاً من عنده، وكأنّ وظيفته تقتصر فقط على الدخول إلى فضاء النّص أو المتن لاختراق تلك البنية المتناسكة وتحليل مستوياتها المتداخلة، والنظر في العلاقات القائمة بينها دون التّصرف من عنده.

نخلص ممّا سبق أنّ البنويين يركّزون على الجوهر الداخلي للنّص الأدبي، وضرورة التّعامل معه دون أية افتراضات سابقة من أي نوع من مثل علاقته بالواقع الاجتماعي أو التاريخي أو بالأديب وأحواله النفسية لذلك نادى بفكرة موت المؤلف.

4-1 آليات التّحليل البنوي:

ينظر المنهج البنوي في مجال دراسة النص إلى نزعه عن السياق التاريخي، وتجريده من الظروف المحيطة بإنتاجه، فهو يعدّه بنية محكمة الغلق، وبذلك فقد ركّز على بناء الخطابات والنصوص وتنظيمها وإنتاجها، وهذا بالذات ما جعل البنوية تتسم بصفة النّصبة، لأنها تدرس اللغة في جميع تمظهراتها التركيبية، وعلاقة ذلك بالمعجم.

ركّزت البنوية في آليات تحليلها للنّص على: «دراسة البنى اللّغوية وإبراز العلاقات التركيبية بين عناصر الجملة دون الاهتمام بالبعد الدلالي الناتج عن تغير التراكيب»³ ويكشف لنا عبد السلام المسدي عن الخطوات الإجرائية التي يهتدي بها المنهج البنوي في معالجة النص، حيث أضحى النص في منظورها: «نسقا لغويا صرفا وطقوسا شكلية، فالبنوية

1 : رولان بارت، لذة النص، تر: محمد الرفرافي وغيره، مجلة العرب والفكر العالمي، ع10، 1990، ص35.

2: فاضل تامر، اللغة الثانية، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، 1994، ص43.

3 : فرحات بدوي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 2003، ص34.

وهي إذ تبتز النص عن شروطه التاريخية ومكوناته المرجعية و تنزع منه ذاكرته الحية، مكتفية بتفكيك أجزائه، وتسريح كتله، إنما تكتم أنفاس النص وتجمد زمانه كما تجمد زمان النقد أيضا حين يغدو وصفا محايدا وبريئا للنص، وأعمدة مجهرية حين يغدو مجرد وسيلة لامتلاك جسد النص دون روحه وأعصابه»¹

إن من آليات التحليل البنيوي للنص عدم تجاوز الوجه الظاهر للنص وعدم تخطي مستوى الوضوح الذي انتج فيه النص، وجاء النشاط النقدي البنيوي مسحا للرموز اللغوية أو الملفوظات فقام بتحليل ظواهرها المطردة وتفكيكها، كما قام بتحليل ظواهر تخص الأبنية الصوتية والصرفية² فضلا عن الثنائيات اللغوية كالتضاد والترادف والحقول الدلالية وغيرها من الدروس الأخرى المتصلة بأدبية النص.

ويمكن تلخيص مستويات التحليل البنيوي للتصوص التي تم الإشارة إليها سابقا فيما يلي:

1-المستوى الصوتي: حيث يدرس الحروف ورمزيتها وتكوينها الموسيقي من نبر وتنغيم وإيقاع.

2-المستوى الصرفي: وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي.

3- المستوى المعجمي: وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية والمستوى الأسلوبي لها، أي البحث في دلالة الكلمات اللغوية.

4- المستوى النحوي: لدراسة تأليف وتركيب الجمل، وطرق تكوينها وخصائصها الدلالية.
5 - المستوى الدلالي: ويُعنى بتحليل المعاني المباشرة، وغير المباشرة والصور المتصلة بالأنظمة الخارجة من حدود اللغة، والتي ترتبط بعلم النفس والاجتماع، وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب.

6- المستوى الرمزي: الذي تقوم فيه المستويات السابقة بدور **الدال** الذي ينتج مدلولاً جديداً يقود بدوره إلى المعنى الثاني أو ما يسمى بـ **اللغة داخل اللغة**.³

ولكل واحد من هذه المستويات قوانينه البنيوية الثابتة المتحكمة فيه، مثل قواعد النحو، والعروض، والبلاغة، وشبكات التداي وقوانين الدلالة ومنطق الصور والمواقف الأديولوجية والثقافية. فالمحلل يقوم بدراسة هذه المستويات أولاً، وعلاقتها المتبادلة، وتوافقاتها والتداي

1 : قضية البنيوية، دراسة ونماذج، منشورات دار أموية، ط. 1، تونس، 1991، ص 109.

2 : حلي خليل، علم اللغة البنيوي، منشأة الإسكندرية، ص 37.

3 : محمد عزّام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب د.ط، دمشق، 2003، ص 54.

الحرّ فيما بينها والأنشطة المتمثلة فيها، وثانيًا هو ما يحدّد في نهاية الأمر البنية الأدبية المتكاملة.¹

2- المدرسة التوليدية التحويلية.

تقوم النظرية التوليدية التحويلية على اعتبار مبدأين كبيرين، لهما وجود في اللغات الإنسانية كافة هما: التوليد (génération)، والتحويل (transformation)، فما المقصود بهذين المصطلحين؟

1- تحديد مفهومي التوليد والتحويل:

التوليد: يدلّ مصطلح التوليد على القدرة على إنتاج عدد لا حدّ له من الجمل، فالإنسان بإمكانه تكوين وفهم كم هائل من الجمل تمكّنه من التعبير عما يريد بجمل جديدة ربّما لم يسمعها من قبل، وذلك بطريقة عادية تلقائية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معينة، فالإنسان يمتلك قدرة إبداعية تمكّنه من إنتاج ذلك العدد اللامتناهي من الجمل، وهي القدرة التي أولاهما تشو مسكي اهتماما كبيرا، فقد أكّد أنّه بإتباع قواعد نحوية يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة العربية.²

فبالإضافة إلى دلالة التوليد على الجانب الإبداعي في اللّغة، فإنّ المصطلح يعني أيضا: الدقّة والوضوح.

جاء في المعجم الموحد أنّ التّوليد: «هو إنتاج ما لا حصر له من المتواليات انطلاقا من قواعد محدّدة ومتناسبة»³ فهو عملية إنتاج كلمات جديدة في لغة ما، وذلك قياسا على صيغ موجودة في هذه اللغة، مع مراعاة الأنظمة و القواعد الخاصة بها.

التّحويل:

التّحويل هو: «عملية نحوية تجري على سلسلة تملك بنية نحوية وتنتهي على سلسلة جديدة ذات بنية نحوية مشتقة»⁴ أي أنّ العملية التي بها نستخرج البنية السطحية من البنية العميقة، «فأية قواعد تعطي لكل جملة في اللغة تركيبا باطنيا وتركيبا ظاهريا، وتربط

1: م ن، ص ن.

2: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الساحة المركزية- بن عكنون- الجزائر، ص206.

3: المعجم الموحد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حرف G، مكتب تنسيق التعريب، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص61.

4: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، 2004، ص56.

التركيب بنظام خاص، يمكن أن تكون قواعد تحويلية، ولو لم تصف نفسها بهذا الوصف، فالربط بين التركيب الظاهري والباطني هو التحويل.»¹

وعليه فالتحويل يتمثل في تلك العمليات التي تؤدي إلى استبدال بنية لغوية ببنية أخرى.

2- اللغة عند تشومسكي:

يرى تشومسكي أن اللغة لها وجهان، أحدهما ذهني خالص، سمّاه الكفاية (compétence) والآخر عملي منطوق مسموع، سمّاه الأداء (performance).

فالكفاية هي: «معرفة الإنسان الضمنية باللغة، أو بالأحرى هي معرفة الإنسان الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية التكلم بها.»²

وبمفهوم أدق هي: «القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية التكلم.»³ أي تكمن في امتلاك المتكلم- السامع- القدرة على إنتاج عدد لا حصر له من الجمل، من عدد محصور جدا من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من خلال وجهة نظر نحوية تركيبية، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة، وتجمعها في مورفيمات تنتظم في جمل.⁴

وتتضمن الكفاية اللغوية جملة من القدرات هي كالآتي:

- 1- القدرة على إنتاج عدد لا حد له من الجمل، وإدراكه من الناحية النظرية.
- 2- التمييز بين صحيح الكلام وسقيمه أي بين الجمل النحوية والجمل اللانحوية.
- 3- فهم تراكيب الجمل.
- 4- استبانة الغموض.⁵

1: م، ن، ص. ن.

2: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية النظرية الألسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت- لبنان، 1986، ص32-33.

3: ميشال زكريا، الألسنية، علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت- لبنان، 1980، ص261-263.

4: خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، دار المعرفة، ط1، السعودية، 1984، ص57.

5: صبري إبراهيم السيد، تشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989، ص70.

أما الأداء فهو: «الاستعمال الآلي للغة ضمن سياق معين. ويمكن القول أنه بمثابة الانعكاس

المباشر لكفاية اللّغة»¹ ممّا يعني أنّ الأداء هو الكلام، أو هو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات، ومورفيمات تنتظم في تراكيب جمالية خاضعة للقوانين والقواعد اللغوية الكامنة، وهو المسؤول عن تنظيم هذه الفونيمات والمورفيمات، فهو الوجه المنطوق للمعرفة الضمنيّة الكامنة باللّغة.²

ميّز تشو مسكي بين الكفاية اللّغوية و الأداء الكلامي بشكل واضح بحيث اعتبر الأداء بمثابة انعكاس مباشر للكفاية، إلا أنّ الأداء لا يخلو من بعض الانحرافات عن قوانين اللغة، فالإنسان عندما يتكلم يستعمل كفايته اللّغوية لكنّه استعمال لا يتم بصورة تامة أثناء عملية التكلم، وذلك لارتباطها بعدد من المظاهر الخاصة. وفي هذا الصدد يقول تشومسكي:

« واضح أنّ استعمال اللغة أي الأداء الكلامي الفعلي كما نلاحظه لا يعكس فقط العلاقات الأصلية بين الصوت اللّغوي وبين المعنى، والتي تندرج في تنظيم القواعد اللغوية، فالأداء الكلامي ينطوي أيضا على عوامل متعدّدة»³ على عكس الكفاية فلا يكون فيها انحراف عن القواعد لأنها عملية إدراك عقلي واستنطاق قواعد اللغة.

وبناءً على ما سبق فإن التفريق بين الكفاية والأداء في نظر تشو مسكي ضرورة لأن هناك حقيقة هي أنّنا عندما نتكلم، ولا نتكلم بطريقة نحوية، فربما لا نكمل الجملة أو ننتقلها ناقصة أو ربّما نضيف أشياء غير صالحة للوصف النحوي. ومن هنا فإن جملا كثيرة لا تعدّ صالحة ممّا ينطق، ولكن اللّغوي لا يتخذها دليلا في عمله الوصفي، وهو يتعامل فقط مع الصيغ المرشدة التي يعرفها المتكلم الفطري بلغته. فضلا عن أنّ التفريق بين الكفاية والأداء واجب أيضا لفهم تلك النقطة الخاصة بالعدد غير المحدود من الجمل الموجودة في اللغة.⁴

3-الجملة عند تشومسكي:

لقد نظر تشومسكي إلى تراكيب الجمل، وبين أنّ لهما شكلين: البنية السّطحية (surface structure)، والبنية العميقة (deep structure).

1 : ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)، ص 46.

2 : خليل أحمد عمارة، ص 58.

3 : ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 33.

4 : د. محمود سليمان الياقوت، قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، دار المعارف، د. ط، مصر، د. ط، ص 179.

وتعدّ البنية السطحية: «الشكل الخاص بوصف يخص الشكل الصوتي للكلمة، بينما تقدم البنية العميقة التأويل الدلالي والقوانين التي توضح العلاقة بين بنيي السطح والعمق في الجمل تسمى التحويلات التحويلية»¹ بمعنى أنّ اللّغة التي ننطقها فعلا، إنّما تكمن تحتها عمليات عقلية عميقة تختفي وراء الوعي الباطن، ودراسة بنية السطح تقدم لنا التفسير الصوتي للغة، في حين دراسة بنية العمق تقدّم التفسير الدلالي لها.

إذن فالبنية العميقة هي ذلك: «التركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا. وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجمل. إنّها التركيب المستتر الذي يحمل عناصر التفسير الدلالي (l'interprétation sémantique)». أما البنية السطحية فهي التفسير الصوتي للجمل، ومن ثمة فكل جملة لأي إطار تضمّ بنيتين عميقة وأخرى سطحية»²

فتشومسكي يرى أنّ لكل جملة بنية عميقة وبنية سطحية، وهذان المستويان موجودان حسب رأيه في كلّ جملة سواء كانت منطوقة أم مكتوبة، فالبنية العميقة هي الشكل التجريدي، وتتمثل في مختلف العمليات الفكرية، فهي ذلك المعنى والجانب الدلالي الموجود في العقل والتي تكون النقطة الأولى التي ينطلق منها كل متكلم لينجز مختلف جملة اللغوية، فهي التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال مختلف العمليات التحويلية.

4-آليات التحليل:

توصلت النظرية التوليدية إلى وجود نظام من القواعد كامن في الإنسان يساعده على فهم عدد لا متناهي من الجمل، ويساعده على إنتاج عدد لا حصر له منها، وبينت النظرية أنّ عمل الباحث اللغوي يتحدّد بتفسير هذه الجمل ووصفها.³

اعتمد تشومسكي في تحليله للجمل على ما يسمى بـ «الأنموذج الركني»⁴ فهو طريقة تقوم على فكرة تحليل الجمل إلى عناصرها الأساسية مباشرة، وهي نفس الفكرة التي نادى بها بلومفيلد بواسطة مخطط الخانات⁵ غير أنّ تشومسكي يقترح تمثيل آخر يلائم هذا النوع بصورة أفضل، ويُعرف باسم «المخطط المشجر» فيمثل الجمل بالعودة إلى مؤلفها المباشر وبشكل مجرد يبين مختلف العلاقات القائمة بين عناصر التركيب.⁶ إذ تقوم هذه الطريقة

1: محمود سليمان الياقوت، ص 179.

2: شفيقة العلوي: ص 52-53.

3: رفعت كاظم السوداني، المنهج التوليدي والتحويلي -دراسة وصفية تاريخية- منتدى تطبيقي في تركيب الجمل في السبع الطوال الجاهليات، أطروحة دكتوراه، بغداد، 2000، ص 107.

4: ميشال زكريا، الألسنية «علم اللغة الحديث»، ص 92.

5: ميشال زكريا، ص ن.

6: م ن، ص 93.

بإعادة الرموز المأخوذة من النَّحو التقليدي، مثل ﴿جملة، فعل، اسم، صفة...﴾ إذ تعاد كتابة التَّركيب على وفق الرموز المرسوم به، وتنعت بـ﴿قواعد إعادة الكتابة﴾ أي أنَّها تعيد كتابة رمز برمز آخر، إلى أن يتم توليد الجملة. ¹

ولتوضيح كيفية إعادة الكتابة نعتمد على القاعدة التي تقوم على تغيير عنصر إلى عنصر آخر أو مجموعة العناصر الواردة على الشاكلة التالية:

- 1- الجملة ← مركب اسمي + مركب فعلي.
- 2- المركب الاسمي ← أداة تعريف + اسم.
- 3- المركب الفعلي ← الفعل + مركب اسمي.
- 4- أداة تعريف ← أل.
- 5- الاسم ← [أستاذ، رجل، كرة، طفل...]
- 6- الفعل ← [ضرب، مدح، صام، أكل...] ²

ويمكن تمثيل جملة ﴿الرجل ضرب الكرة﴾ بالمخطط المشجر الآتي: ³

غير أنَّ تشومسكي يرى أنَّ هذه الطريقة تتسم بالضعف، وذلك لأنَّها ليس بإمكانها أن تبين القواعد التي يحدث فيها حذف بعض العناصر، أو تبديل مواقعها فيما بينها، كما يتعدَّر تحليل العلاقات القائمة بين الجمل المختلفة، لذا توصل تشومسكي إلى طريقة جديدة أخرى ⁴ تمثلت في: "النَّحو التَّحويلي"، وهي طريقة تستند في عملها إلى تحليل البنية العميقة للجملة أساساً لها، ومن ثمة تحليل البنية السَّطحية وصولاً إلى عامل الحدس عند صاحب اللُّغة، وهذه الطريقة التَّحويلية تتوسع في توظيف الرموز التي طرحها الطريقة الركنية. ⁵ وتقوم هذه النَّظرية على فكرة أنَّ هناك « نظام قواعد كامن في الإنسان يطرح بنية عميقة تحوي أساس مجرد، ووحدات معجمية تتفرع في هذا الأساس وقواعد تحويلات تقدِّم وتؤخر في بنية العبارة، ليلفظها السطح في شكلها. » ⁶

ومن أهم خصائص هذه الطريقة أنَّها: « تحاول أن تعالج ذلك التداخل بين الجمل وكيفية

1: م ن، ص 95.

2: شفيقة العلوي: ص 159.

3: نعوم تشو مسكي، البني النحوية، تر: د. يوثيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987، ص 40.

4: ميشال زكريا، الألسنية ﴿علم اللغة الحديث﴾، ص 92.

5: رفعت كاظم السوداني، ص 111.

6: رفعت كاظم السوداني، ص 112.

ارتباط هذه الجمل بعضها ببعض في إطار جملي تحويلي واحد»¹ وقد أضاف تشو مسكي إلى هذه النظرية عدد الرموز التي جاءت في النظرية الزكنية، فاهتم بالعدد، والزمن، وبالأسماء، والأفعال التامة والناقصة، وغير ذلك مما يحتاج إليه في التحليل²، وباستخدام عناصر التحويل³ التقديم و التأخير، الحذف والزيادة... يتم التمييز بين جملتين ما، وهذا يعني أننا نستطيع أن نولد من خلال هذا المنهج ما لا نهاية من الجمل في البنية العميقة. وبنطق ما لا نهاية منها على البنية السطحية، بعد المرور بقواعد التحويلات.³ وعليه فكل ما اعتمده تشومسكي ساعده في تقديم الطرق لتحليل الجملة.

الجانب التطبيقي

قصيدة "الدَّبِيح الصاعد" لمفدي زكريا - قراءة بنيوية -

تعتبر قصيدة " الدَّبِيح الصاعد " لمفدي زكريا من أصدق اللوحات المجسّدة لعظمة الثورة التحريرية الكبرى، فقد كتبها مفدي زكريا متأثرا بمشهد إعدام رفيقه "أحمد زبانا" بالمقصلة في سجن "بربروس"، إذ صوّر مشهد الجنازة عرسا نحو دار الخلود يمتلئ بالأناسيد، لا جنازة تخيم عليها الكآبة والحزن الشديد. ويتجلى ذلك من خلال مطلع القصيدة إثر توجّه زبانا إلى المقصلة فرحا يتلو النشيد، فرحا بمصيره الموجود في الجنة، فإعدامه ذاك ما هو إلا شرارة يحقّز من خلالها الشعب الجزائري على الجهاد ومواصلة الثورة، مفتخرا بمصيره الأجل عند ربّه. وفي السطر الرابع نجد الشاعر لم يعبر عن الأغلل والقيود أنّها من حديد وإنّما جعلها خلاخل تصدر صوتا ربّانا يجوب الفضاء أجمع، ثم يواصل مفدي زكريا في الحديث عن شجاعة وشموخ زبانا وشوقه للاستشهاد، وعن جبريل الذي لقه وسما به إلى السّماء العليا ليصبح على كلّ لسان خالدا في أذهان وقلوب أبناء الوطن. وفي آخر القصيدة يؤكد مفدي زكريا أنّ أبناء الجزائر حافظون للعهد حامون للوطن.

هذا على مستوى المعنى أو المضمون الذي يكشف عن حادثة إعدام زبانا وصموده في وجه المستعمر الدّامي. أمّا على المستوى التركيبي، فقد اتسمت الجمل بالطول وذلك لأنّ مفدي زكريا كما أشرنا سابقا لعب دور المصور فكان عليه أن ينقل ويصف المشهد بكلّ حذافره وبدقة وإحكام. كما لعب دور القاص إذ اعتبرنا أنّ هذه الحادثة قصة فكان عليه أن ينقل كل أحداثها بالتفصيل مشهد بمشهد حتى ترسخ في الأذهان وتبقى خالدة، فضلا عن ملاءمتها للسياق ومناسبة الحديث.

1 : خليل أحمد عميرة ، ص 64.

2 : خليل أحمد عميرة، ص 64.

3 : رفعت كاظم السوداني، ص 112-113.

وفيما يتعلق بالأفعال فإننا نجد تدرّجا في الزمن فقد تراوح بين الماضي والمضارع والأمر، ولكن غلب الماضي والمضارع دون الأمر. فالماضي لأنّه انطلق من الماضي، وزمن المضارع من أجل أن يسمو إلى واقع جزائري حرّ دون استعمار، وقد وظّفه أيضا لأنّه وصف المشهد في الوقت الذي راحوا يشنقون فيه زبانا ﴿التزامن مع الحدث﴾، أما الأمر فلتطلع إلى المستقبل حين قال: ﴿واروي﴾ فهو يتطلع إلى الحرية.

وفي المقابل وظّف الشاعر جملة من الحروف تلخصت في:

- 1- حروف الجرّ ﴿في، من، إلى﴾، ف "في" وظّفت أكثر من ست مرات، و "من" ثلاث مرات، و "إلى" مرة واحدة ولعلّ ذلك التفاوت راجع إلى مقام الحديث.
- 2- حروف العطف: ﴿و، أو، ف﴾، فقد وردت "الواو" بكثرة بالمقارنة مع "أو، ف" وذلك من أجل الربط واستئناف الحديث.
- 3- حروف النّفي والجزم: وتفيد هذه الحروف في الغالب تأكيد المعنى وتفنيده ومنه نجد: - النّفي مع "ليس" في: ﴿لست أخشى حبالا، لست أخشى حديدا، لست حقودا، لست في الخالدين﴾.
- النّفي والجزم مع "لن، لم" في: ﴿لن تبيدا، لم تكن﴾، ولكلّ هذه الحروف دور في ترابط وانسجام القصيدة وجعلها وحدة واحدة متكاملة.

وظّف الشاعر الجمل، فتنوعت بين الجمل الاسمية، والفعلية، والشرطية. ففي المقام الأول نجد الغلبة للجملة الفعلية التي يُعرف عنها أنّها تتسم بالحركية. ومثال الجمل الفعلية: قوله: ﴿قام يخالك المسيح وبيدا﴾، ﴿يتلو النشيد﴾، ﴿يستقبل الصباح الجد يدا... الخ﴾ وهي دليل على الإلحاح والتأكيد. على عكس الجمل الاسمية فقد وردت بنسبة أقلّ ﴿صرخة ترجف العوالم منها﴾ لأنّها لا تتماشى مع موضوع الخطاب لكونها تتسم بالخممول.

أما فيما يخصّ الجملة الشرطية، فمنها نجد في قول الشاعر: "واقض يا موت فيّ ما أنت قاض ﴿جملة الشرط﴾ أنا راض، أن عاش شعبي سعيدا" ﴿جملة جواب الشرط﴾.

ونجد التّقديم والتّأخير في السطر التاسع عشر ﴿وسرى في فم الزّمان زبانا﴾ بحيث آخر الفاعل، فأصلها: "سرى زبانا في فم الزمان" وذلك بهدف التّشويق والرفع من منزلة زبانا.

أما المستوى الصوتي فقد اصطفى الشاعر تفعيلات الخفيف بحرّا في قوله الشعري. والخفيف من البحور الشعرية التي تناسب الأغراض الجادّة، وغرض الشاعر منها بالنظر إلى مساحتها الشعرية الممتدة التي تفسح للشاعر مجال الافتتان في التعبير واختيار أفضل التراكيب لمعانيه، واعتمد قافية مطلقة رويّها الدّال، وهي قافية مردفة تارة بالياء قبل حرف الروي، وتارة أخرى بالواو.

الشعب شجاعة "زبانا" أحسن ترديدا على طول الزمن.

وختاما يمكن القول أنّ مفدي زكريا وُفّق كل التّوفيق في توظيف أدواته الفنيّة التي تضافرت جميعا على تفجير الإحساس بالموقف في نفس المتلقي، لهذا استغل مفدي زكريا- بدافع رؤيوي صادق - كل ما في الألفاظ والكلمات من طاقة إيحائية نغما وصورة ومعنى، فقدّم بين أعيننا قصيدة خالدة خلّدت بدورها ثورة التّحرير الكبرى

الخاتمة:

بعد هذا البحث الذي تعرضنا من خلاله لموضوع " البنويّة والتوليدية التحويلية: دراسة في آليات المنهج " والذي حاولنا أن نلمّ ببعض جوانبه وقضاياها يمكن لنا في الأخير التّعرض إلى أهمّ النتائج التي توصلنا إليها كالتالي:

1- إنّ اللّغة في نظر المدرسة البنوية هي نظام خاص من العلامات أو الإشارات المعبّرة عن الأفكار، وهي وسيلة للتواصل أو التعبير.

2- إنّ المنهج البنوي يسعى إلى دراسة النّص الأدبي في ذاته ومن أجل ذاته، والتعامل معه بعيدا عن الإسقاطات الخارجية من مثل علاقته بالواقع الاجتماعي، وأحوال المبدع النّفسية، وارتباطاته الأيديولوجية.

3- إنّ دراسة العمل الإبداعي بمنهج بنيوي يقتضي اعتماد المستويات الصّوتية، والنّحوية، والدلالية، والمعجمية... ثمّ التركيز على إظهار التّشابه، والتّناظر، والتّعارض، والتّضاد والتّوازي والتّقابل بين المستويات لاكتشاف بنية النّص.

4- إنّ مهمة النّاقّد البنوي لا تتمثل في اختبار مدى مصداقية الكاتب بالنسبة لعلاقته بالمجتمع، وإنّما تتلخص مهمّته في اختبار لغة الكتابة الأدبية ورؤية مدى تماسكها وتنظيمها المنطقي والرّمزي ومدى قوتها أو ضعفها. وهذا ما اعتمدهنا في تحليلنا لقصيدة " الدّيبج الصاعد " لمفدي زكريا.

5- تقوم نظرية تشو مسكي التوليدية التحويلية على توليد الجمل وتحويلها لتوليدا وتحويلا لا متناهيين.

6- تعدّ اللغة في نظر تشومسكي سلسلة من الجمل المتناهية أو غير المتناهية، وكل جملة تحتوي على شكل صوتي وعلى تفسير دلالي محايت لها.

قائمة المصادر والمراجع.

1-المراجع:

- أ- المعجم الموحد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حرف G، مكتب تنسيق التعريب، الدار البيضاء، ط1، 2002.
- ب- المعجم الوسيط، ج1، باب الباء، مكتبة الشروق الدولية للنشر، ط4، 2004.
- 2-المصادر:
- أ- أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، الساحة المركزية- بن عكنون- الجزائر.
- ب- جان بياجيه، البنيوية، تر: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، ط4، بيروت، 1985.
- ت- حلمي خليل، علم اللغة البنيوي، منشأة الإسكندرية، د.ط، د.ت.
- ث- خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيها منهج وتطبيق، دار المعرفة، ط1، السعودية، 1984.
- ج- رولان بارث، لذة النص، تر: محمد الرفرافي وغيره، مجلة العرب والفكر العالمي، ع10، 1990.
- ح- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، 2004.
- خ- صبري إبراهيم السيد، تشومسكي فكرة اللغوي وآراء النقاد فيه، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989.
- د- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1998.
- ذ- عز الدين المناصرة، علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجدلوي، ط1، عمان، 2006م
- ر- فرحات بدوي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 2003.
- ز- فاضل تامر، اللغة الثانية، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، 1994.
- س- محمد عزّام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دراسة في نقد النقد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، د.ط، دمشق، 2003.
- ش- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، 1986.
- ص- د. محمود سليمان الياقوت، قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، دار المعارف، د.ط، مصر، د.ت.
- ض- ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت-لبنان- 1980.
- ط- ميشال زكريا، مباحث النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1985.

ظ- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ﴿النظرية الألسنية﴾ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت-لبنان، 1986.
ع- نعوم تشو مسكي، البني النحوية، تر: د. بوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987.

غ- البنيوية وما بعدها: تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، د.ط، 1996.
ف- قضية البنيوية، دراسة ونماذج، منشورات دار أموية، ط1، تونس، 1991.

3-المجلات

أ- نعمان بوقرة، ﴿نحو النصّ مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة﴾، علامات ج61، مج16 ﴿مايو2007﴾.
4-الرسائل الجامعية.

أ- رفعت كاظم السوداني، المنهج التوليدي والتحويلي - دراسة وصفية تاريخية- مننتى تطبيقي في تركيب الجمل في السبع الطوال الجاهليات، أطروحة دكتوراه، بغداد، 2000.